في الذكرى العاشرة لرحيل الزعيم

فتح في سنواتها الأولى

يحيى يخلف

عشر سنوات تمر على رحيل الزعيم ياسر عرفات،سنوات صعبة طال فيها أمد عذابات الشعب الفلسطيني، وتواصل بها العدوان الإسرائيلي بأشكاله كافة، وتراجعت خلاله احتمالات السلام العادل، ورغم حرب شارون ومحاصرته للمقاطعة في عملية السور الواقي مستهدفا الزعيم والقائد والرمز ياسر عرفات فإنّ هذاالاجتياح العسكري لم يتحول الى هزيمة سياسية، وانما وطّد ثقافة الصمود والمقاومة الشعبية، وعزّز حركة المقاطعة الاقتصادية والأكاديمية لإسرائيل ومستوطناتها، بل وبلور تحركا سياسيا وقانونيا مثّل معركة دبلوماسية ميدانها الأمم المتحدة وهيئاتها ومنظماتها،حققت مكاسب هامة تمثلت بالاعتراف بعضوية فلسطين كدولة بصفة مراقب،والتقدم لمجلس الأمن بتحديد جدول زمني لجلاء الاحتلال،وكذلك الانضمام إلى منظمات وهيئات تابعة للأمم المتحدة أبرزها الحصول على العضوية الكاملة في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، والانضمام إلى محكمة الجنايات الدولية.

صمود كان امتدادا لمسيرة ملايين الأميال التي قطعها الكفاح الفلسطيني في مسيرة طويلة الأمد(حرب التحرير الشعبية) منذ انطلاقة حركة فتح والثورة الفلسطينيةالعام١٩٦٥ ،وامتدادا لانخراط الشعب بأكمله في النضال بالوسائل المتاحة منذ اندلاع الانتفاضة في العام ١٩٨٧ ،ونجاحات استندت إلى إنجازات حققتها منظمة التحرير بقيادة ياسرعرفات في مراحل سابقة عندما اعترف

العالم بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، واعتراف الأمم المتحدة بها بصفة مراقب، وذهاب ياسرعرفات إلى الأمم المتحدة وإلقاء خطابه الشهير حين رفع غصن الزيتون بيده، وأطلق صرخته أمام المجتمع الدولي قائلا: لا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي،فضلا عن إنجازات عديدة في إطار حضور ومشاركات في لقاءات ومؤتمرات وهيئات عربية وإسلامية وإفريقية وأميركية لاتينية ، ومجموعة دول عدم الانحياز والاشتراكية الدولية،انجازات كرست الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف،حقه في دولة مستقلة على حدود الرابع من حزيران، وحقه في تقرير المصير، وحق اللاجئين في العودة.،ووضعت قضية فلسطين في صدارة المشهد الدولي.

وعلى الرغم من انتهاء صلاحية اتفاقيات المبادىءالتي عرفت باتفاقيات أوسلو، فقد اعتبرت مؤسسات منظمة التحرير أنّ تأسيس وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية انجاز على طريق قيام الدولة.

غاب الزعيم عرفات،لكن إرثه الكفاحي والتاريخي لم يغب، ولم تغب عن الذاكرة الجمعية مكانته وهيبته وسجاياه ودوره في نقل القضية الفلسطينية من قضية لاجئين الى قضية شعب له حقوق مشروعة يناضل من أجل نيلها ويصنّف كشعب يكافح من أجل الحرية،وتصنّف حركته الوطنية في مقدمة حركات التحرر الوطني في العالم.

خرج هذا الزعيم من صفوف الفقراء والبسطاء ،خرج من جرح النكبة والكارثة عندما تم الاقتلاع والنفي والتهجير، وتوزعت غالبية عظمى من أبناء الشعب الفلسطيني على المنافي والمهاجر،وأُلحقت الضفة الغربية كوديعة تحت حكم المملكة الأردنية الهاشمية، فيما ألحق قطاع غزة تحت الإدارة العسكرية المصرية، وهكذا فقدت الهوية تماسكها،ولم يعد لها من مرجعية سوى مؤسسة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين(الأونروا).

لم تعد هناك مرجعيات سياسية فلسطينية تعيد للهوية الوطنية تماسكها،لم تعد هناك حركة وطنية تعيد الاعتبار للشخصية الوطنية الفلسطينية،ولم يعد هناك من سبيل أمام الشباب الفلسطيني سوى الانخراط في أحزاب قومية ترفع شعارات الوحدة العربية،أو أحزاب إسلامية دعوية تسعى لإعادة الخلافة ،أو احزاب يسارية أممية تعنى بقضايا العمال وتسعى لنشر الاشتراكية.

كانت القضية الفلسطينية في برامج هذه الأحزاب مؤجلّة الى حين تحقق الوحدة العربية أو تحقق قيام الخلافة،أو الى حين انتصار الاشتراكية.

في هذا الواقع الذي غابت فيه مرجعية سياسية فلسطينية، وعاش فيه الشعب الفلسطيني في مخيمات وتجمعات معزولا عن بعضه البعض، وعاش في مساحة النفي والإلحاق بدأت تظهر في تلك التجمعات كوكبة من الشباب الطليعي تنادي باعادة تأسيس حركة وطنية تعيد الاعتبار للهوية الفلسطينية وتأخذ زمام المبادرة لتمثيل شعبها ومعالجة قضيته والبحث عن عناصر القوة فيه من أجل تحرير وطنه.

لم تكن الفرصة متاحة ، ولم تكن الطريق ممهدة، بل إن كل الطرق كانت مغلقة، وكان يتعيّن على النخب الطليعية أن تشق طريقا بنفسها،كانت هذه النويّات تتواجد في غزّة، سورية ،لبنان ،الأردن ،مصر،الكويت ،قطر،السعودية،وفي دول اوروبية مثل ألمانيا والنمسا وفي أوساط الطلبة والعمال في بعض دول أوروبا، ولم يكن هناك تواصل بينها بسبب الشروط الأمنية المسلطة على الفلسطينيين، والتي اضطرت هذه المجموعات الى انتهاج السرية في العمل مما حد من قدرتها على الحشد والتنظيم.

كانت تلك مرحلة إرهاصات امتدت منذ النكبة حتى أواخر خمسينات القرن العشرين، واتيح للنخبة أو للمجموعة التي قادها ياسر عرفات عبر أمكنة ومواقع وظروف مختلفة أن تعلّق الجرس، وأن تحوّل الأحلام المستحيلة إلى حقيقة، بل إلى ثورة أطلق عليها في وقت من الأوقات ثورة المستحيل.

* * *

عندما حدثت النكبة عام ١٩٤٨كان ياسر عرفات ما زال فتى يتلقى دراسته في مصر، ولم يمنعه صغر سنه من الانخراط في العمل الوطني،حيث تؤكد المصادر التحاقه للعمل في جمع الاسلحة للثوار الفلسطينيين أثناء حرب ١٩٤٧، والتحاقه ايضا الى جانب الفدائيين الذين واجهوا الانجليز على ضفاف قناة السويس، لكن شخصيته المبادرة برزت حين أعاد تأسيس رابطة الطلبة الفلسطينيين في دولة مصر، ونجح هو ونخبة من رفاقه المستقلين في الانتخابات وصار رئيسا لها وكان معه طلبة آخرون أصبحوا فيما بعد من القادة التاريخيين المؤسسين لحركة فتح والثورة الفلسطينية، منهم صلاح خلف (أبو اياد)، وفاروق القدومي (أبو اللطف) وسليم الزعنون (أبو الأديب).

وفي تسجيل موثق صوتا وصورة أجريته مع السيد سليم الزعنون، أدلى بشهادة عن تلك الفترة

قائلا:(عام١٩٥٢ ذهبت ضمن دفعة من الطلاب للدراسة في مصر، ومن الطريف أنّ والد زميلي ماجد المزيني الذي ذهب معي وكان تاجرا ومن المجاهدين القدامى الذين كانوا يذهبون الى مصر لجمع السلاح للمقاومين الفلسطينيين قال لابنه ماجد: أنتم لا تعرفون القاهرة ولا تعرفون كيف تتدبرون أمركم، خذوا هذا الكتاب مني الى شاب اسمه ياسر عرفات، هذا الشاب كان يرافقنا سنة ١٩٤٧ الى الصعيد والصحراء الغربية من أجل شراء السلاح، وكان أصغرنا سنّا لكنه يمتلك قدرات مميزة لا يمتلكها أحد. وصلنا القاهرة وسكنّا واتصلنا بياسر عرفات الذي سارع الى زيارتنا عارضا مساعدته لنا، وسألني: كم عدد الطلاب الذين جاءوا معك؟ أجبته٥٤ طالبا.

قال: اذن كسبنا ٥٤ صوتا، أنا الآن في معركة مع بعض الحزبيين الذين استولوا على رابطة الطلاب الفلسطينيين والانتخابات بعد شهر من الآن، وأنا مصر على أن تعمل الرابطة من أجل فلسطين لا من أجل الأحزاب.

قلت له: اذا كان الأمر كذلك فإني أعرف طالبا يدرس في الأزهر الشريف وهو شخصيّة جذابة اسمه صلاح خلف.

وذهبنا الى الأزهر، وهناك قابل صلاح خلف لأول مرة وتعرف عليه، ثمّ سأله: كم لديك من الطلاب في الأزهر؟

أجابه صلاح خلف: ١٥٠طالبا، فردعليه: يجب ان نضمن ١٥٠ صوتا. فقال صلاح خلف: لكن يا ابوعمار هؤلاء الطلاب عميان. فأجابه: العميان أهم من المبصرين لأني سأحضر لهم من يرافقهم الى الانتخابات وبذلك نضمنهم)

ويضيف السيد سليم الزعنون في شهادته الموثّقة:(خضنا معركة الرابطة، ونجح ياسر عرفات كرئيس للرابطة،وانا السكرتير العام بعده،ونجح في الهيئة الإدارية أيضا صلاح خلف،وعبد الفتاح حمود،وزهير العلمي، وكان هذا أول تجمّع يقوم على فكرة الوطنية الفلسطينية لا الحزبية، واستطاعت الرابطة أن تحل محل حكومة عموم فلسطين التي كانت تتلاشى بالتدريج واصبحت في حالة شلل، ولكننا للأمانة لم نتنكر لمن قبلنا وكانت تلك نظرة ياسر عرفات إذ قال لنا فور انتهاء الانتخابات: يجب أن نذهب لزيارة الحاج أمين الحسيني ونقول له: إنّ مكانتك لا تزال موجودة ونحن أبناؤك الصغار)

ويحدثنا السيد سليم الزعنون عن ممارسات طريفة لياسر عرفات في قيادته للرابطة تكشف لنا النزعة المبكرة للزعامة في شخصيته، فقد كان يأخذ لوحده ثلاثة أرباع جدول الأعمال ، ويترك الربع الباقي لبقية أعضاء الهيئة الادارية.

ومن ذلك أيضا أنه طبع بطاقة وكتب عليها صفته كرئيس لرابطة طلبة فلسطين، فاعترض على ذلك سليم الزعنون في أحد الاجتماعات، وقال له: هذا حب للظهور، فغضب عرفات، وكان المطروح على جدول الأعمال قضية الرسوم الإضافية المفروضة على الطلبة الفلسطينيين، والتي كان عرفات يغطيها عن طريق الحصول على مساعدات من الجامعة العربية. وقبل انتهاء الجلسة انسحب من الجلسة، وقال لهم: اذهبوا أنتم الى الجامعة العربية، واعتبروني في إجازة.

قرّر سليم الزعنون الذهاب، مع بعض الطلبة الى الجامعة العربية، وعند الباب أوقفهم الشرطي، قال له الزعنون: أنا فلان السكرتير العام لرابطة طلبة فلسطين.

قال له الشرطي: نحن لا نعرف غير ياسر عرفات، فلم يستطيعوا الدخول وعادوا من حيث أتوا.

وعرفوا في ما بعد، ان عرفات الذي يسكن في مصر الجديدة، يركب الترام الى وسط البلد لأنه لا يملك أجرة التاكسي، وعندما يصبح على بعد كيلومترين يركب التاكسي ويطلب من السائق أن ينزله أمام باب الجامعة العربية حيث يراه شرطي الحراسة، وينزل حاملا البطاقة، وينقد الشرطي خمسة قروش فيدخل معززا مكرما.

ويسرد لنا قصة أخرى طريفة حول البطاقة أو الكرت إذ يقول)حين أردنا أن نستأجر مقرا للرابطة ذهبت الى وكيل الشقة التي نريد أن نستأجرها وهو طبيب مشهور، فرفض وقال: أنتم طلاب وستخربون المصعد. عدنا خائبين، ولما عرف ياسر عرفات قال: تعالوا معي.

عدنا الى عيادة الطبيب، فأخرج أبو عمار كرتا من جيبه، وارسله مع الممرضة فاذا بالطبيب يأتينا مندفعا ويهجم على ياسر عرفات ويقبّله ويشير اليه بالدخول، ودخلنا بمعيته، وقال الطبيب : طلبكم مقبول، ووقع العقد بسهولة، وقبل أن نخرج قال له الطبيب: أخ ياسر يبدو انك نسيت فأعطيتني هذا الكرت بدلا من كرتك، وتبين لنا أنه تعمّد ذلك واعطاه كرت يعود للسيد زكريا محي الدين عضو مجلس قيادة الثورة المصرية، وبالطبع أهتم الطبيب لهذا السبب، فاعتذر عرفات وأعطاه كرتاً آخر)

واعتبر سليم الزعنون كل ذلك دلالة على عبقرية وحضور بديهة طبعت أساليب عرفات في شق الطرق المغلقة.

* * *

كانت تجربة رابطة الطلاب الوعاء الذي نضجت فيه فكرة الوطنية الفلسطينية، وكانت العنصر الممهد لالتقاء التجمعات والتيارات الاستقلالية، أو الشخصيات الحزبية التي اقتنعت بفكرة التحرر الوطني والتحقت بالركب حاملة معها أفكارها التي اتسمت بالتنوع وتفاعلت مع بعضها البعض، وانصهرت في برنامج الحد الأدنى، وتم ذلك كله في سيرورة كفاحية للفكر الوطني.

لعلّ أولى المحاولات التي مثلت الارهاصات الأولى لفكرة التحرر الوطني بوسيلة الكفاح المسلح هي تلك التي ظهرت في قطاع غزة، والتي كان المبادر لخوضها الشاب خليل الوزير الذي كان آنذاك ما زال طالبا في المرحلة الثانوية، وبالتحديد في العام ١٩٥٤،في تلك الفترة كان الشباب الفلسطيني ينخرط في الأحزاب التي تنشط في قطاع غزة، ابتداء من حركة الإخوان المسلمين وانتهاء بالحزب الشيوعي، وكان خليل الوزير منخرطا في ذلك الحين في صفوف التنظيم الإخواني، وقد أتيح له أن يشارك في دورة عسكرية تدريبية عقدتها حركة الإخوان لشبيبتها في مدينة العريش المصرية، ولقد أيقظت تلك الدورة عنصر القوة في عقل ذلك الشاب، وبلور فكرة مع عدد من رفاقه على شكل مشروع عمل فدائي يقوم بعمليات فدائية على تخوم وعمق قطاع غزة، وعرض المشروع على قيادة الإخوان ،لكنهم رفضوه، فقرر الاستقالة من هذا التنظيم، وشرع في العمل وكان على صلة مع الشباب الوطني في القطاع ومن بينهم كمال عدوان وسعيد المزيّن وأحمد وافي وأبو الأديب ومحمد الإفرنجي وغيرهم ، لكنّه بدأ العمل مع عدد من رفاقه المقرّبين في أضيق الحدود ضمانا للسرية، ومنهم حمد العايدي، ومحمد الإفرنجي، وبالإمكانيات البسيطة والبدائية صنعوا العبوات وتسللوا الى المستوطنات الاسرائيلية والمواقع والطرق العسكرية المتاخمة للقطاع وزرعوا تلك العبوات، وحققوا بعض النجاحات، لكن التجربة لم تطل، فعلى ضوء ردود الفعل الاسرائيلية، وقصف المدفعية الاسرائيلية لمواقع الجيش المصري، عملت السلطات العسكرية المصرية على ملاحقتهم، وفي شهادة موثّقة سجّلتها مع السيدة انتصار الوزير(ام جهاد) عن تلك التجربة قالت (لم تتوقف المجموعة عن التسلل والقيام بعمليات داخل اسرائيل، وفي احدى المرات ذهب أبو جهاد مع إحدى المجموعات ولم يتمكنوا من الدخول، ولم يستطيعوا زرع العبوة، ولم يشأ أبو جهاد إعادتها الى غزة، فقام بحفر

حفرة في التراب ودفن العبوة فيها، ثم دفن الصاعق في حفرة أخرى قريبة.

بالصدفة مرّ بالمكان مجموعة حرس الحدود من الهجانه المصرية التي تركب الجمال، فاصطدم الجمل بالحفرة، وبحث الهجانة عن سبب تعثر الجمل ووجدوا العبوة ووجدوا الصاعق أيضا. في السراي فككوا العبوة وعرفوا انها صناعة محلية. وهي عبارة عن قطعة حديد تحمل ضاغطا على المتفجرات..حملوا قطعة الحديد وطافوا بها على الحدادين، كانوا يسألون كل واحد منهم: هل تعرف أن تصنع قطعة مثل هذه فيجيبهم نعم، ثم يسألونه: هل أتى أحد وطلب منك عمل مثلها، فيجيبهم :لا.. المهم وصلوا الى حداد في حي الزيتون فقال: عملت مثلها لشاب لا أعرف اسمه واعطى أوصافه. كان ابن الحداد جالسا يستمع فقال لهم: أنا أعرف اسمه، إنّه خليل الوزير وهو طالب في مدرسة فلسطين الثانوية).

وتم القبض على الطالب خليل الوزير واحتجازه، ثمّ إبعاده من غزة الى الاسكندرية بعد تدخل من وجهاء غزة حيث أكمل دراسته والتحق بالجامعة تخصص صحافة وإعلام.

لابد من ذكر هذه المحاولة،لأن الفكرة ظلت مزروعة في عقل خليل الوزير الذي سيلعب في ما بعد دورا طليعيا في تأسيس حركة فتح وتأسيس الكفاح المسلح الفلسطيني.

ولعله من حسن الطالع أن يلتقي خليل الوزير وياسر عرفات في العام ١٩٥٦ في رحلة قطار من القاهرة الى قطاع غزة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منه بعد احتلاله في حرب ١٩٥٦.

ترافقا في الرحلة وفي جولة واسعة على مدن ومخيمات القطاع، وانعقدت أواصر صداقة اثمرت فيما بعد صنع تاريخ، وشقّ دروب للحرية.

وفي عام ١٩٥٧انفتح باب العمل في دول الخليج أمام الشباب الفلسطيني الذي تخرج من الجامعات وتعثر في الحصول على وظائف، والتحق في مختلف دول الخليح آلاف المعلمين والمهندسين والأطباء، وخصوصا في الكويت والسعودية وقطر، ولم يثن رغد العيش المجموعات الطليعية منهم عن مواصلة العمل بسرية في الحشد والتنظيم، فكانت هناك عشرات التجمعات تنشط وتشكل الحلقات تحت عناوين وتسميات مختلفة، ووسط هذا المناخ التقى العبقريان ياسر عرفات وخليل الوزير في الكويت، وكان هذا اللقاء لحظة ينتظرها تاريخ ، فشكّلا الخلية الأولى لفكرة التحرر والتحرير، وكان كل منهما يحمل الأفكار نفسها، ويتطلع الى وضعها موضع التطبيق.

كانا يبحثان عن وعاء واطار لتلك الأفكار يحوّل النظري الى العملي، وكانا مفتونين بتجربة الثورة الجزائرية التي كانت في أواخر الخمسينات من القرن الماضي تحقق الانتصارات، وتسطر ملاحم كفاحية، ومن تجربة جبهة التحرير الوطني الجزائري استلهما الفكرة.

في العام ١٩٥٨أسّسا مجلة (فلسطيننا) وأصدراها من بيروت بمساعدة السيد توفيق حوري، لتبشر بفكرة التعبئة والحشد والتنظيم، ولتعبّر عن أفكار التنظيم الذي يسعيان الى تأسيسه.

التقاء هدوء وحكمة وخبرة خليل الوزير مع دينامية ياسر عرفات وانتقاله الى الميدان كان بمثابة المدماك الأول للتجربة، والانتقال من عقد اللقاءات والنقاش في غرف مغلقة الى تعليق الجرس والبدء في العمل.

تحرك الرجلان في دول الطوق، زارا الأردن وسوريا ولبنان للبحث عن أفق لمستقبل حركة التحرر التي يتطلعون الى اطلاقها.

أسفرت هذه اللقاءات عن تأسيس نويات وأنصار في الضفة الغربية وغزة وفي مخيمات لبنان وسورية، واستكشاف الامكانيات للانتقال من الكويت إلى ميادين المواجهة المؤدية إلى فلسطين .

وتشاء الصدف أن يتعرف ياسر عرفات عام ١٩٥٨ في دمشق على شخص يعمل في الكويت ويقضي اجازة في سورية انضم الى الفكرة ولعب في وقت لاحق دورا هاما في مرحلة التأسيس لحركة فتح هذا الشخص هو الناشط السياسي والمثقف الكبيرعادل عبد الكريم الذي كان يعمل في الكويت ويمضي عطلته الصيفية في دمشق.

وفي لقاء وثقت فيه حديثا للسيد عادل عبد الكريم، الذي شغل موقع عضوية اللجنة المركزية لحركة فتح، من مرحلة التأسيس حتى عام ١٩٦٦، حيث انسحب من الحركة إثر خلاف مع الزعيم عرفات.

في هذا اللقاء الذي تمّ في عمان عام٢٠١١ وحضره معي السيد مروان عبد الحميد من القيادات البارزة في حركة فتح ، روى السيد عادل عبد الكريم عن مرحلة البدايات قائلا:(في أواخر شهر تشرين أول/ اكتوبر أو أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٥٨ جاءني ياسر عرفات الى بيتي في الكويت، وكان ذلك هو اللقاء الثاني معه، ولا أدري كيف عرف عنوان بيتي، وقال لي فيما قال: يجب أن نعمل ثورة مثل الثورة الجزائرية. أعجبتني الفكرة وتناقشنا طويلا في الموضوع، وفي نهاية

الزيارة اتفقنا على تشكيل مجموعة لبدء العمل، وخلصنا الى عقد اجتماع قريب يحضره اثنان من طرفه واثنان من طرفي، ثمّ نختار اثنين من دمشق.

وفي اللقاء الأول حضر مع ياسر عرفات كل من خليل الوزير، ويوسف عميرة، وأنا أحضرت معي كل من عمر حسني عمر، ومحمود حنّونه.

بدا نقاش فكرة الثورة الفلسطينية وكيف نؤسسها، وبعد نقاش طويل اتفقنا على استمرار الاجتماعات التحضيرية، وصرنا نلتقي مرة كل اسبوعين في بيت عمر حسني عمر الكائن في حي الفحاحيل بالكويت. واتفقنا على اختيار اثنين من دمشق هما عبد الله الدنّان وعبدالكريم عبد الرحيم.

خلال الاجتماعات التحضيرية انسحب محمود حنّونة لأنه كان عضوا في حزب البعث، وقال إنّه كعضو ملتزم يتعيّن عليه أن يبلغ حزبه، ولأنّه من الناحية الأخلاقية لا يريد أن يخدعنا فإنه يقدم استقالته، ولا مانع لديه من أن يكون نصيرا.

استقال حنّونه، فأتينا بصديق لنا اسمه توفيق شديد الذي بقي معنا حتى شهر أيار/مايو ١٩٥٩حيث قدّم استقالته أيضا، ولم نكن حتى ذلك التاريخ قد اتخذنا إسما للتنظيم الذي يريد أن يطلق ثورة مسلحة)

سنلاحظ في شهادة السيد عادل عبد الكريم أن اسماء كثيرة شاركت في نقاشات المرحلة التحضيرية وعبرت دون أن تترك أثرا، وأن ياسر عرفات وخليل الوزير وعادل عبد الكريم كانوا العقل الذي أنضج الفكرة.

وعن قرار التأسيس قال السيد عادل عبد الكريم في شهادته: (في الأسبوع الأخير من شهر مايو أيار من عام ١٩٥٩ اجتمعنا اجتماعا حاسما،وقررنا أن نجد إسما لتنظيمنا الجديد، وأن نكتب بيانا نعلن فيه أفكارنا. كنّا جميعا مفتونين بالثورة الجزائرية، لذلك استلهمنا اسم تنظيمنا من اسم :جبهة التحرير الوطني الجزائري، قلنا نسمي تنظيمنا : جبهة التحرير الوطني الفلسطيني،لكننا في النقاش قلنا أن كلمة جبهة لا تنطبق علينا لأنّ الجبهة هي ائتلاف بين مجموعة من المنظمات، وهكذا استبدلنا كلمة جبهة بكلمة حركة، فصار اسم تنظيمنا: حركة التحرير الوطني الفلسطيني،ثم اكتشفنا اسمنا المختصر حين عكسنا الحروف الأولى من الجملة، فأصبحت فتح، واستبشرنا خيرا

بالأسم المختصر حيث ورد في القرآن الكريم آية:إذا جاء نصر الله والفتح)

* * *

في ذلك الاجتماع أطلقت المجموعة على إطارها اسم اللجنة المركزية، ثم تناقشت في فحوى البيان الذي يعلن عن تأسيس الحركة وإشهار التنظيم، وبعد نقاش حول الخطوط العريضة ، كلّف عادل عبد الكريم بصياغته،وفي الأسبوع الأول من حزيران/ يونيو من عام ١٩٥٩تم انجاز كتابة (بيان حركتنا) كأول وثيقة تصدرها الحركة وتعلن فيه عن نفسها. وكلّف خليل الوزير بطباعة البيان وتوزيعه في كل الساحات، وظلت الحركة تعمل في نطاق السريّة التامة، وبعد التأسيس استمر العمل السياسي والتنظيمي، ودخل الحركة شخصيات ذات قامات عالية في النضال تمتلك تاريخا متصلاً مع تاريخ ياسر عرفات في الرابطة وفي مقدمتهم صلاح خلف وفاروق القدومي وسليم الزعنون وشخصية قيادية كانت تعمل في إطار حزب التحرير الإسلامي ثم انسحبت منه، هذه الشخصية هي القائد والمفكر خالد الحسن، وكان ذلك ينسجم مع ما جاء في وثائق التأسيس ومفاده أن الوحدة الوطنية بديل عن الحزبية، فالحركة اتسعت لكل التيارات من قومية واسلامية ويسارية، وكان الشرط هو الانسحاب من الحزب والانتماء الى الحركة، ففكر فتح كما كان يؤكد ياسر عرفات يغتني ويتطور من خلال الممارسة. لم تتبن فتح أيدولوجية معينة،بل فتحت أبوابها على مصراعيها لكل من يؤمن بالكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين بغض النظر عن خلفيته الايدولوجية، واستقطب شعار التحرير عن طريق الحرب الشعبية طويلة الأمد في وقت لاحق ألوفاً مؤلفة من الشباب المستقل ومن الشخصيات التي جرّبت الأحزاب، وأصبحت فتح بعد معركة الكرامة عام ١٩٦٨ التي سنتحدث عنها لاحقا، أصبحت فعلا لا قولا العمود الفقري للثورة الفسطينية.

في عام ١٩٦٠ قررت اللجنة المركزية تنشيط الساحة السورية التي ستصبح في وقت لاحق مركزا أساسيا للتدريب والإعداد والتحضير للانطلاقة، وقررت تشكيل لجنة تنظيم(لجنة إقليم) فاختارت لعضويتها كل من: محمود الخالدي، حسام الخطيب، حسن عبّاس وسليم زيد، والتحق فيها ايضا في ما بعد منير سويد.

ومنذ عام ١٩٦٠ اكتمل عقد اللجنة المركزية بدخول القيادات التي عرفت في الحركة بالقيادات التاريخية فبالاضافة للاسماء التي ذكرناها انضمت كثير من المجموعات التي كانت تنتشر هنا وهناك، ومن المجموعات السبّاقة للانضمام كانت مجموعة قطر التي مثلها السيدان: محمود عباس،

وأبو يوسف النجّار. وفي شهادة موثقة، ومنشورة في كتاب (صفحات مشرقة من تاريخ الثورة عن تجربة السيد الرئيس محمود عباس في مراحل ومحطات عديدة وثّقتها صوتا وصورة وأصدرتها في كتاب) يقول حول انضمامهم للحركة: (كان في الكويت عشرات التنظيمات، كل اثنين أو ثلاثة كانوا يشكلون تنظيما يعلن عنه عبر اصدار بيان، فتصبح المجموعة تنظيما. عام ١٩٦٠ قررنا الاتصال بالكويت، وبدأت أنا وأبويوسف النجار نذهب الى الكويت كل يوم خميس بعد الظهر والعودة صباح السبت.. نذهب ونلتقي بالشباب، ووجدنا في تنظيم فتح ما يمكننا أن نتحدث معه، وتبين لنا أنّ في التنظيم أصدقاء نعرفهم: من الشام عبد الله الدنان وعادل عبد الكريم، ومنير سويد، ثم هناك خليل الوزير أبو جهاد، وأبو عمّار، وأبو إياد، ثمّ الأخ أبو الأديب وكان من البارزين في الحركة، وكنت قد تعرّفت على أبو اياد قبل عام، ومن أول تعارفنا أصبحنا صديقين، فلما قيل لي أنه في تنظيم فتح قلت هذا التنظيم سنكون فيه، واتحدنا بالحركة مباشرة).

كانت هذه المجموعة امتدادا للمجموعة التي أسّسها محمود عباس عام ٥٥/٥٤وكان هدفها التدريب العسكري للشباب الفلسطيني انطلاقا من رؤيه تقول اذا كانت الجيوش العربية تعلن أنها ستخوض معركة لتحرير فلسطين فمن الأولى أن يكون الشباب الفلسطيني في المقدمة، لذلك طالبوا بتطبيق التجنيد الإجباري عليهم، والسماح لهم بدخول الكليات العسكرية السورية. وعمل أعضاء المجموعة على الاتصال بالطبقة السياسة السورية لتحقيق هذا الشعار.

في عام ١٩٥٦ سمحت الحكومة السورية للفلسطينيين بدخول الكليات العسكرية: الحربية، الطيران، والبحرية، ورأت المجموعة أنه قد آن الأوان للإلتحاق طالما تحقق الهدف، وقررت قيادة المجموعة أن تبدأ بنفسها، وأن تتقدم إلى التجنيد. وفي شهادة موثقة مع الرئيس محمود عباس عن أحداث تلك المرحلة قال):كنا ثلاثة تقدمنا بطلبات للإلتحاق بالكليات العسكرية: أنا ومحمود المغربي – فلسطيني من أصول ليبية، صار في ما بعد رئيس وزراء ليبيا- ومحمد السهلي، قدمنا امتحانات شفوية ونظرية، أنا نجحت في العسكرية لأن العسكرية لا تشترط عشرة على عشرة في فحص النظر، وأنا في فحص النظر حصلت على ثمانية من عشرة، ومحمود المغربي لم ينجح في الفحص الطبي فعاد الى الجامعة أما محمد السهلي فقد نجح والتحق بالطيران. ذهبت إلى الكلية العسكرية.. قاموا بحلق شعرنا، وبدأنا التدريبات وأعطوا كلاً منا بندقية، وكانوا ينادوننا: يا جندي، يا مستجد، بعد مرور أسبوعين استدعونا للفحص الطبي مرة أخرى، وكنت من بين الذين لم ينجحوا في هذا الفحص الطبي

الثاني.. وضعونا في سيارة وقالوا لنا مع السلامه. عدت لعملي في التعليم صباحا، وللدراسة المسائية في الجامعة، ولكننا كمجموعة بقينا نعمل على مشروع التدريب والتسليح حتى نهاية عام ١٩٥٧.

في نهاية عام ٥٧ جاءنا عقد عمل في قطر أنا ومحمود المغربي، كما أنّ بقية الأخوة انفتح أمامهم باب العمل في مختلف دول الخليج، هدفنا في سورية قد تحقق، وفتحت أبواب التجنيد الإلزامي، وأصبح هناك آلاف الشباب الذين تدربوا، ونتج عن ذلك تشكيل لواء حطين حين تأسس جيش التحرير، ذهبنا الى الخليج وحملنا معنا فكرتنا).

أصبحت فتح المغناطيس الجاذب لمجموعات أخرى، ومنها مجموعة غزة ، مجموعة السعودية، مجموعة الأردن، مجموعة ألمانيا، وشخصيات وطنية في سورية ولبنان، وهذا ما ضخ قيادات جديدة مثل كمال العدوان، عبد الفتاح الحمود، هايل عبد الحميد، هاني الحسن، أبو ماهر غنيم، محمد الإفرنجي، حمدان عاشور وآخرين. وكان للسيد هايل عبد الحميد مجموعة أطلقت على نفسها اسم (عرب فلسطين) تأسست في دمشق في منتصف الخمسينات ولعبت دورا هاما قبل أن ينتقل الى ألمانيا للعمل والدراسة، وسنتحدث عنها بالتفصيل في مكان آخر.

وما أن أطل العام ١٩٦٣ حتى أصبح للحركة بنية متينة، إذ أصبح لها لجنة مركزية موسّعة، وتم إنجاز وثيقة (هيكل البناء الثوري) وبدأ الاستعداد لاستكمال أطرها القيادية كالمجلس الثوري وتأسيس لجان الأقاليم، ومواصلة الحشد والتنظيم، والتطلع إلى تأسيس القواعد الارتكازية.

في ذلك العام حدثت تطورات هامة مثّلت نقلة نوعية في مسيرتها،أولها انتقال ياسرعرفات الى الميدان في سورية ولبنان والأردن للتحضير لانطلاقة الكفاح المسلح، وثانيها ذهاب خليل الوزير الى الجزائر وربط الصلة ما بين الثورة الفلسطينية والثورة الجزائرية التي كانت قد أنجزت الاستقلال، وربط الصلة أيضا مع جميع حركات التحرر الوطني التي كان لها مكاتب في العاصمة الجزائرية والتي تنتمي الى افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، فضلا عن ربط الصلة مع الثورة الفيتنامية ودولة الصين الشعبية،وكذلك تعزيز الصلة مع المجموعات الطلابية والعمالية الفلسطينية في ألمانيا والنمسا، ودول أوروبية أخرى، وهذا ما سنفصلّه في الحلقة الثانية من هذه الدراسة.